



قدامى الجواسيس

مارس الإنسان التجسس بالفطرة منذ فجر الخليقة . استخدمه في الاستدلال على أماكن الصيد الوفير ، والثمر الكثير ، والماء الغزير ، والمأوى الأمين ، الذى يحميه من عوادي الطبيعة والوحوش والبشر ، وتختلف شدة ممارسة التجسس بين مجتمع وآخر حسب نوع الأعراف والتقاليد ، والعادات السائدة ، فنراه على سبيل المثال سمة ثابتة عند اليابانيين * ، حتى أن الجار يتجسس على جاره بلا حرج ، فالتجسس جزء من حياتهم العادية داخل وخارج بلادهم . كما أن الشعب اليابانى يؤمن بأن العمل فى مجال المخابرات خدمة نبيلة ، فى حين أن معظم شعوب العالم تعاف هذه المهنة ، التى لا غنى عنها فى الدولة المعاصرة ، حتى تقوم بمسئولياتها . فلا يكفى أن تكون الدولة



كاملة الاستعداد للحرب فى وقت السلم ، بل لابد لها من معلومات سريعة كافية لتحمى نفسها ، وتحقيق أهدافها فى المعترك الدولى . لقد أصبح جهاز المخابرات هو الضمان الأساسى للاستقلال الوطنى ، كما أن غياب جهاز مخابرات قوى يمنى القوات العسكرية بالفشل فى الحصول على إنذار سريع ، كما أن اختراق الجواسيس لصفوف العدو يسهل هزيمته . ولعل هذه الغاية هى التى أوعزت إلى الملك «تحتمس الثالث» فرعون مصر بتنظيم أول جهاز منظم للمخابرات عرفه العالم .

* Anaromy Of Spying - Ronald Seth .

مخابرات الفراعنة



طال حصار جيش تحتمس الثالث لمدينة «يافا» ولم تستسلم . عبثا حاول فتح ثغرة فى الأسوار . وخطرت له فكرة إدخال فرقة من جنده إلى المدينة المحاصرة ، يشيعون فيها الفوضى والارتباك ، ويفتحون ما يمكنهم من أبواب لكن كيف يدخلهم ؟ .

اهتدى إلى فكرة عجيبة ، شرحها لأحد ضباطه واسمه «توت» ، فأعد ٢٠٠ جندي داخل أكياس الدقيق ، وشحنها على ظهر سفينة اتجهت بالجنود وقائدهم إلى ميناء «يافا» التى تحاصرها الجيوش المصرية ، وهناك تمكنوا من دخول المدينة ، وتسليمها إلى المحاصرين . وبدأ منذ ذلك الوقت تنظيم إدارات المخابرات فى مصر والعالم .

ويذكر المؤرخون أن سجلات قدماء المصريين تشير إلى قيامهم بأعمال عظيمة فى مجال المخابرات ، لكنها تعرضت للضعف فى بعض العهود ، كما حدث فى عهد «منفتاح» وإلا لما حدث رحيل اليهود من مصر فى غفلة من فرعون * . وتجدر الإشارة إلى أن «تحتمس الثالث» غير فخور بأنه رائد الجاسوسية . فكان يشعر دائما بقدر من الضعة فى التجسس والتلصص ولو على الأعداء ، وكأنه كان يعتبره ترصداً فى الظلام أو طعنأ فى الظهر ، ولو كان ضد الأعداء ، مما جعله يسجل بخط هيروغليفى واضح - على جدران المعابد والآثار التى تركها - كل أعماله ، من بناء المدن ، ومخازن الغلال للشعب ، وحروبه ، أما إنشاء المخابرات فقد أمر بكتابته بخط ثانوى . وأخفاه تحت اسم «العلم السرى» ، مفضلاً أن يذكره التاريخ بمنجزاته العمرانية والحربية والإدارية ، وما أداه من أجل رفاهية شعبه ، دون الإشارة إلى براعته فى وضع أسس الجاسوسية .

* الجاسوسية بين الوقاية والعلاج - أحمد هانى .



مخابرات اليهود

فى حوالى عام (١٤٨٠ ق.م) بعث النبى موسى - عليه السلام - باثنى عشر رجلا إسرائيلياً ليتجسسوا على أرض كنعان * ، وأمرهم أن يتجهوا نحو الجنوب ، ويقصدوا الجبال ، ويرقبوا الأرض . وعاد رجال موسى إليه بعد ٤٠ يوماً يحملون أنواعاً من محصولات البلاد ، وقالوا : إن كل رجالها عمالقة جبارون ، وإنها بلاد غنية بالألبان والعسل ، وقدموا للنبي موسى أنواعاً من الفاكهة التى جلبوها .

ولما قاد «يوشع بن نون» بنى إسرائيل عبر الأردن إلى أرض «كنعان» ، استفاد من تجاربه مع موسى - عليه السلام - وأرسل رجلين ليتجسسا على «أريحا» ، ويعرفا مدى قوة رجالها وحصونها تمهيدا لغزوها . استعان الجاسوسان بامرأة تدعى «رحاب» فى جمع المعلومات والخروج من المدينة دون أن يكشفهما رجال الملك . وسجلت بذلك أول اشتراك فى التاريخ لامرأة فى أعمال الجاسوسية . وليست مصادفة أن تجمع الجاسوسية أمثال رحاب ، وماتا هارى ، وحكمت فهمى .



* قصة موسى فى العهد القديم .

صن تزو



يعتبر «صن تزو» رائد الجاسوسية الصينية ، ولا يعنى ذلك أن الصين لم تعرف الجاسوسية قبل عام (٥١٠ ق.م) ، فعمر الجاسوسية فى الصين حوالى ٢٥٠٠ سنة، لكن الفضل يرجع «لصن تزو» فى تكوين أول شبكة مخابرات كاملة عاملة فى الصين . ألف كتابا عنوانه : «أصول الحرب» ، وهو أقدم كتاب عرف عن فن الحرب عموماً ، وما يزال مطلوباً للقراءة فى أكاديميات عسكرية كثيرة . استفاد منه «ماوتسى تونج» فى زحفه الطويل ، وطبقه اليابانيون قبل مهاجمة «بيرل هاربور» ، وهو كتاب شامل مفيد حتى أن قيادة الطيران الملكى البريطانى وزعته بعد تبسيطه على ضباطها فى «سيلان» أثناء الحرب العالمية الثانية . كرس الكتاب جهداً كبيراً لإيضاح أهمية الجواسيس . وطالب بتقسيمهم إلى خمسة أقسام :

- * جواسيس محليون : مواطنون محليون يتقاضون مكافآت على المعلومات .
- * جاسوس داخلى : خائن فى صفوف العدو .
- * جاسوس محوّل : عميل أمكن إقناعه بتغيير .
- * جاسوس هالك : عميل اعتاد تزويد العدو بمعلومات زائفة ، من المحتمل قتله فيما بعد .

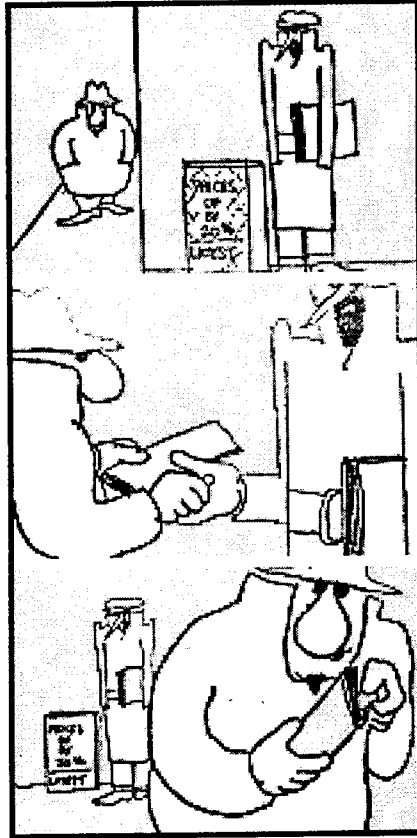
* جاسوس باق : مدرب ، يعتمد عليه فى العودة من مهمته بأمان .

ولد «صن تزو» فى ولاية على مصب النهر «الأصفر» لكنه أمضى معظم حياته فى خدمة «هو - لو» ملك ولاية «وو» المجاورة . قاد «صن تزو» جيش «هو - لو» واحتل مدينة «ينج» عاصمة ولاية «تشو» غرباً ، وزحف نحو الشمال مكتسحاً جيوش مقاطعتى «تشى» و «تشين» .

يعتقد «صن تزو» بأن شن حرب بطريقة اقتصادية ، مع الدفاع عن البلاد ضد الآخرين ، يتطلب ضرورة استخدام نظام تجسس دائم ، يرصد أنشطة الأعداء والجيران على السواء ، وأكد أهمية التقسيم المذكور ، وضرورة اعتبار الجاسوسية

عملاً شريفاً ، وملاحظة استمرار تقريب العملاء من زعمائهم السياسيين والقادة العسكريين .

أوصى «صن تزو» فى كتابه بحسن معاملة العملاء المحولين ، ومنحهم المسكن المريح ، والعطاء الجزيل بين الحين والآخر ، لأن هذا أدعى إلى تثبيت ولائهم ، بل وإغرائهم بمحاولة استمالة زملائهم ورؤسائهم السابقين ، خاصة الذين يستجيبون منهم للرشوة بسهولة .



الإسكندر الأكبر يخترع شفرة



كيف للإسكندر المقدوني الأكبر ، وهو شاب فى العشرين من عمره ، أن يزحف من موطنه الصغير «مقدونيا» شمال اليونان ، ويمد إمبراطوريته خلال عشر سنوات ، عبر آسيا الصغرى والشام إلى مصر ، ثم إلى بلاد ما بين النهرين ، وفارس ، حتى الهند؟ يؤكد المؤرخون أن الإسكندر لم يحرز الانتصار تلو الانتصار بحنكته وجراته وجنده وسلاحه التقليدى فحسب ، وإنما لأنه - فوق كل ذلك - كان واحداً من القادة العظام الأوائل ، الذين أدركوا فائدة الجاسوسية كسلاح حربى ، ووسيلة لحماية الجبهة الداخلية ومقاومة الجاسوسية المضادة .



الإسكندر الأكبر

كان الإسكندر لا يغزو بلداً إلا بعد جمع أكبر قدر من المعلومات عنه ، عن طريق فرق الاستطلاع ، وقوافل التجار . وعلى ضوء هذه المعلومات يرسم خطته بمهارة . فيحقق النصر السريع الحاسم بأقل خسائر . كان يشرف على عمليات الاستخبار بنفسه . وبلغ اهتمامه بها أنه اخترع طريقة لتبادل الرسائل السرية ، تلتخص فى كتابة عبارات الرسالة بنظام معين على شريط من ورق البردى أو الرق ، تبعا لشفرة خاصة ، ولف الشريط على قضيب أسطوانى من الخشب .

وفى مجال مقاومة الجاسوسية كان الإسكندر أول من استخدم نظام «الرقابة على البريد» ، خطرت له الفكرة أثناء محاصرته مدينة فارسية عام (٣٣٤ ق.م)

فخشى أن تقع رسائل جنوده إلى ذويهم فى أيدى العدو وفيها كتبوا بعض المعلومات التى إذا وقعت فى يد العدو سببت للجيش المقدونى ضرراً . لذا أصدر أمراً بمنع الجنود من الكتابة إلى أهاليهم . لكنه اكتشف أن جنوده استأثروا من هذا الخطر ، شك الإسكندر فى دوافع هذا الاستياء ، وأراد أن يعرف ما إذا كانت هناك مؤامرة تدبر فى الخفاء ، ألغى الحظر ، وأمر بعرض كل الرسائل عليه ، فصارت تجمع فيما يشبه نظام «الفرقة السوداء» ، حيث تخضع لرقابة صارمة قبل أن يطلق سراحها إلى مقدونيا . وكان هذا أول نظام رقابة على البريد فى العالم . ولما اطمأن إلى عدم وجود مؤامرات بين صفوف جنوده . وتأكد من أنهم حرصوا على عدم ذكر ما يشير إلى أحوال ومواقف الجيش وخططه ، تخلى عن عملية الرقابة ، بعد أن أصبحت مثاراً لشكوى جنوده .



شفرة الإسكندر الأكبر

هانيبال القرطاجي



كان «هانيبال» قائداً عبقرياً ولوعاً بمفاجأة أعدائه وإشاعة الفزع في صفوفهم ، معتمداً في حروبه على التجسس . قاد حملة عبرت مضيق جبل طارق وانتصر على الأسبان عام (٢٢٠ ق.م) . واتجه شمالاً إلى جنوب فرنسا ، وتسلق جبال الألب من الشمال إلى الجنوب رغم قسوة البرد القارس الذي فتك بكثير من الجنود والفيلة التي كان يستخدمها في حروبه وهبط إلى سهول إيطاليا ، محطماً كل جيوش الرومان التي تصدت له . ويقدر ضحايا هذه الحرب من أعدائه بثمانين ألف جندي من المشاة والفرسان .



تمثال نصفى لهانيبال

أثناء غزو «هانيبال» لجزيرة «صقلية» ، تعذر عليه الاستيلاء على إحدى المدن رغم الحصار الطويل . أراد أن يعرف سر قوة المدينة ومنعتها . فأرسل أحد رجاله فدخل المدينة وادعى أنه جندي مرتزق ، وعرض خدماته على حاكم صقلية وأقام في المدينة يتجول فيها ، ويدرس تحصيناتها وخطط الدفاع عنها ، ويرسل الإشارات إلى «هانيبال» ، عن طريق الدخان المتصاعد من نار يوقدها لطهو طعامه فوق تل المدينة ، دون أن يفطن إليه أحد .

وفي تقدمه نحو روما ، كان يمهد طريق النصر لجيشه ، بجيش آخر من الجواسيس ، يجمعون له المعلومات من وادي نهر «ألبو» ، وسهول الألب السفلى ، عن القوات ، ومعنويات الناس والجيش ، وخصوبة الأرض ، وأنواع المحاصيل ، ثم يضع خطته الحربية على ضوء ما يتوافر له من معلومات .

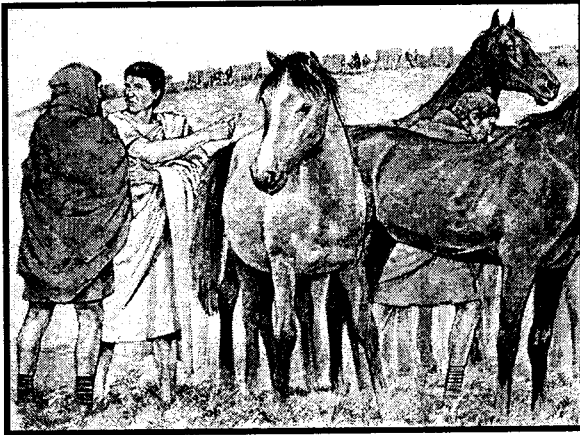
قاهر الفيلة

سيبيو أفريكانوس



اكتسب «سيبيو» شهرته من كونه القائد الوحيد الذى انتصر على «هانيبال»، وفى عقر داره . ولذلك كرموه بلقب «أفريكانوس» ، وهو مدين بهذا الانتصار إلى جواسيسه . كانت مشكلته فى مواجهة جيش «هانيبال» تنحصر فى الفيلة التى يستخدمها كسلاح مدرع كاسح . ولكى يتغلب «سيبيو» على مشكلة الفيلة ، أرسل جواسيسه إلى معسكر «هانيبال» حيث اختلطوا بسياس الفيلة ، وعلموا منهم أن نقطة ضعف الفيل تكمن فى شدة انزعاجه وفزعها إذا سمع أصواتا مدوية . فلما التقى الجيشان ، أحدث جيش «سيبيو» ضجة هائلة بالطبول ، فساد الذعر والارتباك بين الفيلة ، وفقد جنود هانيبال السيطرة عليها ، وانتصر «سيبيو» عام ٢٠٣ ق.م .

وفى حملته ضد «سايفاكس» ملك «نوميديا» حليف هانيبال ، أرسل أخاه «لالئوس» ، مبعوثا ظاهره التفاوض على الهدنة ، وباطنه التعرف على إمكانات العدو ، وأرسل معه ضباطاً متخفين فى ثياب عبيد حتى لا يشك فيهم «سايفاكس» لكنه تفنن فى إبعاد «لالئوس» ورفاقه عن تحصينات معسكره ، فأوعز «لالئوس» إلى رجاله بوخز الخيل كما لو كانت حشرة لدغتها . ولما سهلت خائفة راح رفاق لالئوس يطاردونها بطريقة طافوا معها فى أرجاء المعسكر ، وتعرفوا على نقاط الضعف والقوة . وفشلت مفاوضات الهدنة ، فهاجم «سيبيو» المدينة وأشعل فى تحصيناتها النيران ، وأرغم «سايفاكس» على الصلح .



الضابط فى زى
عبيد يطاردون الخيل

يهودا الإسخريوطى

أشهر الخونة



استتر عيسى - عليه السلام - وحواريوه فى البستان ليمضوا فيه الليل - وفجأة شق السكون صوت أقدام وقعقة أسلحة . وظهرت مجموعة من الرجال شاهرين سيوفهم . وقفوا على بعد خطوات . وتقدم «يهودا الأسخريوطى» من السيد المسيح . عانقه ، وقبله قبلة الرياء المسمومة ، التى كانت إشارة متفقاً عليها بين يهودا والجند ، للإرشاد إلى شخص المسيح .. ترى ما الذى دفع «يهودا» إلى ارتكاب أبشع خيانة فى التاريخ ؟ ...

كرس عيسى عليه السلام كل جهده لدعوة الناس إلى الفضيلة ، والسعى إلى رد اليهود عن ضلالهم ، وإلى اتباع شريعة موسى السمحة التى حرفوها ، ونهيههم عن تركيز الاهتمام فى جمع المال . وكانوا قد حضوا الفقراء والمحاجين على تقديم ما يملكون من نذر يسير إلى صندوق الهيكل ، ليتدفق الذهب إلى خزائنها . وكان من اليهود طائفة أنكرت القيامة ، واستبعدوا الحساب ، وكذبوا الثواب والعقاب . ومنهم طائفة أخرى انغمست فى الملذات والشهوات .

لم يترك عيسى سبيلاً لهدايتهم إلا سلكه ، لينتشلهم من وهدة الضلال وشعر كهنة اليهود بخطر انفصاح أسرارهم وزوال دولتهم ، فثارت ثائرتهم ، وألبوا عليه ولاية الروم ، وصوروه لرجال السياسة مؤلّبا للجموع ، مشيراً للفتن ، منافساً للحكام . وتحالف الكهنة والساسة ضده .. وشوا بالمسيح عند «بلاطس النبطى» الحاكم الرومانى . رموه بالسحر ، واستطاع «كيافاس» كبير الكهنة اليهود إقناع الحاكم بأن انتشار دعوة عيسى سوف يؤدى إلى زوال حكمه وتقويض سلطانه . ونعتوه بأنه كافر بدينهم . وأجمعوا على التخلص منه .

بثوا من حوله العيون لرصد تحركاته والإيقاع به ثم قتله . وبذلوا الوعود بالأموال والأمانى لمن يأتيهم به أو يدلهم عليه . كانوا يريدون الانقضاض عليه وقتله خفية بعيداً عن الناس ، حتى لا يثير قتله ثورة . وما يؤسف له أن يستجيب لغوايتهم «يهودا الإسخريوطى» ، أحد حواريه الاثنى عشر ... دلهم عليه وتقدم الجند نحوه ليقبضوا عليه لكن قدرة الله تجلت فأنجاه من كيد الكائدين . أخفاه سبحانه وتعالى

عن أعين الناظرين ، وأوقع أبصارهم على رجل شديد الشبه بالمسيح .. انقضوا على الرجل الشبيه بوحشية ، فانعقد لسانه من الخوف والفرع . وصلبوه فوق جبل الزيتون . ولم يكن ذلك الرجل المجهول سوى يهوذا ، الجاسوس الخائن ، رد الله كيده إلى نحره .

ما الذى دفع «يهوذا» إلى ارتكاب هذه الخيانة التاريخية؟ يعتقد البعض أنه تجسس ووشى بمعلمه من أجل المكافأة المرصودة رغم تفاهتها ، ومقدارها ثلاثون قطعة فضية . ويرى البعض الآخر أن إرادة الله جعلت من «يهوذا» عبرة لعل الناس به يتعظون ويحذرون .